

## وأبونا شيخ كبير

لا أزال أراه بشكل يومي، ذلك الرجل الهرم الذي يتوكل على عصاه معتمراً قبعة زرقاء، ينتظر من المارة من يتوقف ليصعد إلى سيارته، تارة يذهب للسوق كي يبتاع احتياجات منزله، وتارة أخرى يزور مسقط رأسه جنوباً ليقف على أطلال حياته الماضية، لعله يصادف فيها بعض من بقي من أبناء جيله، قلماً أو قفته الأجزاء الماطرة أو حرارة الشمس الشديدة، هو مستمر في صراع الحياة بما تبقى لديه من قوة، لا يتلوك في الطلب، ولا يخشى مخاطر الوقوف على ناصية الطريق، والأهم من ذلك أنه لم يسأل أحد أبنائه وبناته المساعدة، هم كما أعرفهم منهمكون في صناعة حياتهم، بين الطبيب والكاتب والداعي خلف الأضواء الاجتماعية، لقد أعدتهم ليحاربوا الحياة بطريقتهم لا طريقته، وانكفاً مبتعداً عن تلك الحياة التي لا تناسب فكره ولا طبيعة معيشته.

لكني ومع ذلك أتساءل، إن لم تكن نتيجة الغرس ثمرة يحمد بها المزارع، فما الهدف من غرسها؟ حتى أشجار الزينة التي نبتاع شتلاتها ونغرسها أمام منازلنا نأمل منها ظلاً وإضافة جمالية ونسينا علياً أو صدأ للأترية والغاربار على أقل تقدير، الغريب أن ذريه ذلك الرجل الهرم مختلفون جداً، ناصحون لغيرهم ومؤثرون فيما يقولونه ويكتبوه، لكنهم -حسبما أرى- لا يطبقون ما يكتبوه ويقولونه على أنفسهم، والدليل أبوهم الشيخ الكبير الذي لا يزال يصارع الحياة ليعيش وربما يعيث بعضهم من جهده.

لقد جمعتني الصدفة به يوماً أثناء تبعسي لبعض نواقص المنزل، وطلب مني أن أوصله لبيته وكان يدفع عربة مليئة بال حاجيات، لم أستطع أن أرفض طلبه رغم امتعاضي قليلاً من ثقل ما اشتراه والذي أرهقني تحمله وتفريغه حينما انتهيت من إيصاله، سألته بعد جملة من الحوارات عن أحواله وانعدام وجود من يساعدته على شراء وحمل كل هذه التموينات، فأجاًني بأن لا أحد متفرغ لمعاونته، وأن من واجبه ألا يشكوا بيته من أي نقص في المؤمن والمتطلبات الحياتية، صمت لفترة ثم أشرت بأدب إلى سنه الكبير، وأن من في عمره يجب ألا يرهقوا أنفسهم، وأن عليه أن يريح بدنه بعد رحلة سنين طويلة من العمل والكد وال التربية، تبسم حينها ورد علي بكلمتين فقط، «إِنْ كَرِيم».

بعد ذلك اللقاء سرت في التفكير طويلاً، وتبادر لذهني جملة من الأسئلة التي قد يتعرض لها أغلب الآباء في زماننا، منها على سبيل المثال، هل يجب علينا - كآباء وأمهات - أن نصرف كل حياتنا في إعداد الأبناء ومساعدتهم باستمرار على شق طريقهم وتوجيهه أقدامهم نحو النجاح؟ هل نزرع في أبنائنا وبناتنا كما زرع هذا الشيخ في أرض أبناه التي جنى منها الحنظل بدل الورد؟ هل يجب على العائلة أن ينفق عمره كي يعبد طريق من يأتى بعده فقط؟ دون انتظار أي مردودات شخصية؟ والسؤال الذي لا يفارقني كلما رأيت ذلك الشيخ صباحاً، هل أخطأ صاحبنا في طريقة تنشئته لأبنائه؟

